

الدور القومي للأدب والفنون التعبيرية الأخرى للطفل،

في ظل الجمهورية الجديدة

أ.د. مختار يونس

أستاذ الفيلم السينمائي، بالمعهد العالي لفنون الطفل،

أكاديمية الفنون

مقدمة

تحت نظرية الفن للفن، استمر فن أدب الطفل كأحد فنونه التعبيرية بأشكاله المتعددة: المقروءة، والمسموعة، وبأجناسه المتعددة: من نثر، وشعر، وكلمات الأغاني، وقصصه القصيرة والطويلة، ورواياته الطويلة المصحوبة بالرسوم التشكيلية، وصحفه ومجلاته الأدبية بموضوعاتها من فكاهاات مصورة، ومسابقات وأغاز، وقصص الكوميكس المرسومة، والحكم والمأثورات الشعبية المدعومة بالرسوم الملونة أو بالأبيض والأسود.

وهكذا استمر أديب الطفل وبمصاحبه الرسام فنان الطفل التشكيلي في معظم إبداعهما مقتصرًا على موضوعات مقترنة، على سبيل المثال لا الحصر، بكلمة المسحور مثل: التاج المسحور، والقطار، والكتاب، والحذاء، والفسطان، والقميص، والبنطلون، والرداء، والبساط، والعربة، والدراجة، والطاقيّة، والنظارة، والكوب، والإناء، والطبق، والصينية، والملقعة، والقلم... المسحور.

وعلى الرغم من أن أسماء تلك الموضوعات الأدبية يتلّهف عليها الطفل، لأنها تثري خياله وتشبع ميوله ورغباته إلا أن مضمونها ابتعد عن المشكلات الواقعية التي يتعرض لها الطفل بنوعيه: (الذكر، والأنثى) في كل مرحلة عمرية على حدة، وندر أن تعرضت هذه الموضوعات لبعض البيئات المتعددة التي يعيش فيها أطفالنا، مثل: البيئة الريفية، أو الساحلية، أو الصحراوية، أو الصناعية، أو الحضارية... كما أن هناك أطفال مراحل عمرية مهمة جدًا لم يتوجه لها الفنان أديب الطفل أساسًا، مثل: أطفال مرحلة الإخصاب الجنينية، ومرحلة الرضاعة، ومرحلة الفطام (مرحلة الحضانه والروضة)، ومرحلة المراهقة المبكرة، ومرحلة المراهقة المتوسطة. كما ندر التنويه على أغلفة الأعمال الأدبية بالمرحلة العمرية الموجه إليها العمل الأدبي.

مراحل الطفولة العمرية

تتعدد المراحل العمرية للطفولة بداية من:

١. مرحلة الإخصاب الجنينية.

٢. مرحلة الرضاعة (ما بعد الولادة وحتى الفطام).
 ٣. مرحلة الفطام.
 ٤. مرحلة ما قبل المدرسة من ٣ إلى ٦ سنوات.
 ٥. مرحلة الطفولة المبكرة ٣- ٦.
 ٦. مرحلة الطفولة المتوسطة ٦- ٩.
 ٧. مرحلة الطفولة المتأخرة ٩- ١٢.
 ٨. مرحلة المراهقة المبكرة ١٢- ١٥.
 ٩. مرحلة المراهقة المتوسطة ١٥- ١٨.
- ولكل مرحلة من المراحل جوانب لتكشف مايسمى بخصائص النمو ومواصفات ومظاهر لكل مرحلة على حدة.

فنون الطفل التعبيرية الأخرى:

١. فن الغناء والموسيقى
بقصصه الموسيقية، وموضوعات أغانيه: الفردية، والجماعية.
٢. فن الفيلم: (السينمائي، والتلفزيوني)
والمقدم بصرياً، وسمعيًا، أو بشكل إلكتروني. وتتمثل أجناس فن الفيلم في:
 - الفيلم التسجيلي.
 - الفيلم الروائي (القصير والطويل) التلفزيوني، والسينمائي.
 - الفيلم الكارتوني، وفيلم الرسوم والعرائس المتحركة.
 - الفيلم الصلصالي.
 - أفلام السينما سكوب والأفلام المجسمة، والفيلم ذو البعدين... والثلاثة أبعاد... وتستمر الأبعاد حتى الأفلام ذات الثمانية أبعاد مع تغير أحجام اللقطات، وحركة الكاميرا، وزوايا التصوير. ومع إمكانية الخدع البصرية والتصوير البطيء والتصوير السريع، والتصوير تحت الماء أمكن لفن الفيلم المساهمة بنجاح غير مسبوق في تحقيق متعة التعلم ومنتعة التربية في آن واحد، مع تحقيق التربية الشاملة: الجنسية، والبيولوجية، والتربية اللغوية، والتربية الحركية، والتربية الاجتماعية، وتربية الهوية والقومية، وقبل كل ذلك التربية الوجدانية، وهي تربية الانفعالات والعواطف، والمشاعر والأحاسيس.

٣. فن استعراضات الإيقاع التعبيري الحركي

الفردية والجماعية بموسيقاه وأصواته، وألوانها وموضوعاتها الشيقة التعليمية أو التربوية.

٤. فن المسرح

بأجناسه: من مسرح صندوق الدنيا، ومسرح العرائس، ومسرح الألقعة، والمسرح السحري، والدائري والمعملي، والسامر، ومسرح الجرن، ومسرح القهوة، ومسرح راوي الحكايات (Story Teller).

٥. فن التشكيل

بأجناسه، من: رسم، وتصوير بالأبيض والأسود، والألوان المائية والزيتية، وحفر، وتجسيم، وكات أوت.

٦. فن العمارة والديكور

من متاحف الطفل، وحدائق الطفل، ومدن ملاهي الطفل، وقرى المعرفة، وديكورات أفلامه ومسرحياته.

مشكلة البحث

إزاء الجدل القائم بين نظرية الفن للفن، أم نظرية الفن للمجتمع؟، فإن المجتمع المصري الذي ينتمي إلى دولة نامية تقع في شمال إفريقيا وتمتد شرقاً إلى آسيا ولا تنتمي إلى دول الرخاء، وهو ما يعني ضرورة إسقاط نظرية الفن للفن، مقابل إحياء نظرية الفن للمجتمع التي تفرض على أديب الطفل أن يستلهم أعماله للطفل من واقع المجتمع.

وإذا كان الهدف من أدب الطفل يدور حول إشباع خيال ورغبات الطفل وميوله وتربوية وجدانه تمهيداً وسبيلاً لتربية عقله؛ لتحقيق آماله وأحلامه الإيجابية، وتربية سلوكه، ووضع أمام المثل العليا والقيم الأخلاقية والدينية الوسطية؛ ليقتدي بها بطريقة مسلية وجذابة وغير مباشرة في غير انفصال عن الواقع، أي في ظل الجمهورية الجديدة بمشروعاتها العملاقة: الصحية، والتعليمية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في سباقها مع الزمن.

وعلى الرغم من أن تلك الموضوعات يتلهف عليها الطفل؛ الأمر الذي يدفعنا للتساؤل: ما هو الدور القومي الجديد لأدب الطفل كفن عليه أن يحقق رؤيته للواقع الجديد بما فيه من إنجازات عملاقة ومشروعات غير مسبوقة، وحتمية انعكاسها على الطفل، وتأثيرها على رؤيته المستقبلية.

حدود البحث

- أ. **الحدود الموضوعية:** يتناول البحث الدور القومي لأدب الطفل كنموذج لفنون الطفل التعبيرية الأخرى في ظل الجمهورية الجديدة.
- ب. **الحدود المكانية:** في جميع أنحاء الجمهورية.
- ت. **الحدود الزمانية:** خلال الفترة الآنية (الجمهورية الجديدة).

مفهوم أدب الطفل في الجمهورية الجديدة، وأساليب تفعيله

أولاً - يرى البحث أن يتبنى أديب الطفل الرؤية الجديدة للإنجازات العملاقة المحققة على أرض الواقع الفعلي عملياً حتى يصدق في تناولها؛ ليستلهم منها بأسلوبه الأدبي الخاص المقروء والمرئي والمسموع والموجه إلكترونياً للطفل.

ثانياً - عدم اقتصار دور أديب الطفل على تقديم إبداعاته للطفل فقط، وإنما يجب أن تمتد خطاباته لتأهيل الأم والأب أو ولي الأمر، باعتبارهم الأقرب للطفل حتى يطرحوها بأسلوبهم الخاص عند رعايته وتربيته وتنشئته اجتماعياً طوال مراحل الطفولة المتعددة.

ثالثاً - أن يتخصص أديب الطفل في مخاطبة أطفال مرحلتين عمريتين (على الأكثر) ليلم بمشاكلهم، وخصائص نموهم، وعالمهم الخاص، وعالمهم العام، علاوة على المرحلة الجنينية المهمة لتوجيه خطاباته الإبداعية للطفل وللأم، بعد التعرف على خصائص النمو لجميع المراحل العمرية الأخرى.

رابعاً - ألا يغفل أديب الطفل خطاباته الإبداعية لأطفال المرحلة الجنينية المهمة (مدرسة الرحم)، ومرحلة الرضاعة والفطام (الحضانة ورياض الأطفال) بكتابة كلمات أغاني مدرسة الرحم وما بعدها، من ملاغاة وهددهة؛ ذلك لأن ما يقدم للطفل في هذه المرحلة هو ما يبقى راسخاً في أغوار عقله الباطن، ويستمر معه مدى الحياة (التعليم في الصغر كالنقش على الحجر). كما أن هذه المراحل تقع ضمن المرحلة الذهبية (Golden period) الممتدة من الإخصاب حتى المراهقة المتوسطة، وهي تلك الفترة الزمنية التي تستمر فيها أسفنجية عشرات البلايين من الخلايا العصبية للوجدان والعقل، والتي يسهل معها التعليم؛ لأنه يتحقق بالامتصاص، كما أكدت الأبحاث المعملية التجريبية التي قامت بها (ماريان دياموند) في معامل (بيركلي) أكبر المعامل التجريبية في العالم بجامعة كاليفورنيا، وأثبتت فيها أن معظم الذكاءات الطبيعية المتعددة الوجدانية والعقلية ليست فطرية، وإنما بيئية مكتسبة، والتي إذا لم تستثمر بشكل مدروس تكون هذه الفترة (من الإخصاب إلى المراهقة المتوسطة - المرحلة الذهبية) قد ضاعت على الطفل للأبد ولا سبيل علمياً لاسترجاعها مرة أخرى.

خامساً - أن يحاكي أديب الطفل أعمال فناني الطفل الدرامية الأخرى في توظيف أساليب المؤثرات الدرامية الخمس التي تعمل على جذب اهتمام الطفل، وتجعله متشوقاً مستمتعاً بما يتلقاه من أديب الطفل الجديد، وهي:

١. **المفاجأة Surprise**: وهي حدوث حدث على غير ما يتوقعه الطفل المتلقي، مثال: عندما يغادر الطفل حجراته وقد أغلق الإضاءة والباب بالمفتاح، وتأكد من ذلك (وذهب إلى السينما، مثلاً) وعند عودته يفاجأ وهو في الطريق أسفل غرفته بأن غرفته مضاءة.

٢. **التشويق والتلهف Suspense**: تشويق الطفل لمعرفة نتيجة الصراع بين قوتين متكافئتين في القوة، مثال: عند مشاهدة المباريات الرياضية وخاصة كرة القدم، لا نستطيع أن نتوقع نتيجة ما يحدث بين طرفي اللعب، ونظل نترقب ونتلهف من سيقوم من الطرفين بتسجيل هدف أو أهداف الفوز.

٣. **التضاد Contrast**: ويكون في الحدث الدرامي، وفي الشخصية أيضاً، مثال (للحدث): عصابة قامت بخطف طفلي الأمير، وفي أثناء مطاردتها من حراس القصر الذين نجحوا في إنقاذ أحدهما، بينما فرت العصابة ومعها الطفل الآخر... والتضاد هنا كما في المونتاج المتوازي يتضح في رؤية كيفية ممارسة حياة طفل القصر الثرية، وفي نفس الوقت رؤية كيفية ممارسة حياة الطفل الآخر الذليلة والمحرومة لدى العصابة... أما كيف يظهر التضاد واضحاً في (الشخصية) فمثل الشخص السمين والشخص النحيف (الثنائي الكوميدي الشهير لوريل وهاردي)، أو مثل الشخص الأسمر والأبيض، أو مثل الشخص طويل القامة والقزم قصير القامة، أو مثل الشخص الأعمش الذي لا يكاد يرى وزرقاء اليمامة التي ترى على بعد عدة كيلومترات.

٤. **الإنقلاب الدرامي Coup de theatre**: ويعني تغيير موازين القوى بين قوتين، حيث يصبح القوي ضعيفاً والضعيف قوياً.

٥. **المفارقة الدرامية Dramatic irony**: وهي معرفة وإمام الطفل المتلقي بمعلومات لا تعرفها الشخصيات الأخرى في القصة، ومثالاً على ذلك: عندما عاد حارس الأميرة الشخصي السابق إليها ليساومها على خطاباتها الغرامية إليه مقابل مبلغ من المال، والذي حدد لها موعداً في الساعة السادسة مساء الغد لكي يبادل رسائلها بمبلغ الفدية المطلوب (مليون فرنك، مثلاً)... وبعد تهديده وانصرافه جمعت الأميرة حراسها لكي يتوزعوا غداً في أنحاء الغرفة قبل موعد حضور الحارس السابق للأميرة، قائلة لهم: أنت خلف الستارة، وأنت تحت المائدة، والثالث خلف النافذة، والرابع خلف المرأة... ثم قامت بإعطاء أوامرها وتعليماتها بقيامهم بالقوة باسترداد المبلغ المطلوب من الحارس الشخصي السابق بمجرد استلامها للخطابات،

وفي الموعد المحدد (في اليوم التالي)، وعندما يأتي الحارس الشخصي السابق المبتدئ نكون نحن الأطفال القراء نكاد نصيح محذرين الحارس السابق: خذ حذرك!... انتبه!... ألا ترى أقدام الحارس المختبئ خلف الستارة؟ والآخر القابع تحت المائدة؟... إلخ؛ لأننا نعرف مسبقاً نحن الأطفال القراء المتلقين ما سيحدث بمجرد تبادل الصفقة التي ستتم الآن، بينما لا يعرف الحارس؟ وهو ما يحقق المفارقة الدرامية، لكن إذا فاجأ الحارس الشخصي الأميرة بأنه قد توقع ما دبّرت؛ ولهذا فإنه قد أخبر محاميه الخاص بتقديم نسخ من الخطابات لوالد الأميرة إذا ما تأخر وحدث له مكروه، ولم يرجع إليه حتى الساعة الثامنة مساءً، فعلى المحامي أن يهرع إلى إبلاغ جلالة الملك بنسخ من الخطابات، وهو ما يُطلق عليه هنا مسمى (الانقلاب الدرامي) الذي يقلب موازين القوى حيث تصبح الأميرة (القوية) هي الضعيفة ويصبح الحارس السابق (الضعيف) هو الأقوى.

سادساً - استنهاض ما يعرف بـ (أدب الرحلات) التي تصطبغ الطفل المتلقي بالرحلات المشوقة لزيارة المشروعات الجديدة العملاقة، والوقوف على ما حقته الجمهورية الجديدة من مبادرات وصلت حتى الآن إلى عشر مبادرات، ومن مشروعات عملاقة، على سبيل المثال لا الحصر، للنهوض والارتقاء بمجالات الصحة والتعليم والرياضة والصناعة والزراعة، وتبطين الترع، وزيادة الثروة السمكية والحيوانية، وإقامة الطرق والكباري، وتجديد شبكة المواصلات، واستحداث وسائل جديدة للمواصلات كالمونوريل، ومضاعفة مصادر الطاقة الكهربائية، ومياه الشرب، وتطوير نظم الري التقليدية، وتشجيع الأبحاث العلمية في كل الميادين، ومضاعفة الصادرات، والحد من الاستيراد، وإقامة المساكن والمدن القرى السياحية الجديدة، والقضاء على العشوائيات، وتجديد شبكات الصرف الصحي والبنية التحتية، والارتقاء بالفنون بأنواعها: التعبيرية، والتشكيلية، والتطبيقية، والجميلة، والشعبية، وتوظيفها على أرقى مستوى بالعاصمة الإدارية الجديدة، والاهتمام بالسياحة، وإنشاء المدن السياحية والأبراج السكنية، والتوسع في البناء الرأسي، واستعادة أراضي الدولة المعتدى عليها، ومكافحة المخدرات، والتصدي لقضايا الطفولة والشباب والمسنين، وإعادة بناء الإنسان الجديد وجدانياً وعقلياً وجسمانياً، والاهتمام بالمرأة، وإعادة حقوقها المسلوبة منها، وإسناد العديد من المناصب القيادية لها، ومضاعفة تمثيلها في المجالس النيابية بمجلسي: النواب، والشيوخ، والمناصب الوزارية والدبلوماسية، وإفساح المجال لها في القضاء، والقوات المسلحة والشرطة، وإعطائها نصيباً مضاعفاً في المبادرات الصحية، وحمايتها من أمراض سرطان الثدي، وإصدار القوانين الجديدة اللازمة لحمايتها، مثل تشديد عقوبات التحرش الجنسي بها أو بالأطفال، وتحديث وتطوير أسلحة القوات المسلحة ومصانع الإنتاج الحربي.

عن المبادرات التي أطلقتها الجمهورية الجديدة لرؤية مصر حتى عام ٢٠٣٠، والتي تأتي على رأس موضوعات أديب الطفل للطفل تأتي:

أولاً - صندوق تحيا مصر

والتي انطلقت عام (٢٠١٤) بالشفافية الكاملة تحت إشراف السيد عبد الفتاح السيسي رئيس الجمهورية، بالاشتراك مع فضيلة شيخ الجامع الأزهر الشيخ أحمد الطيب، ونيافة البابا تواضروس الثاني بطريرك القداية المرقسية، ومحافظ البنك المركزي، وتحت رقابة الجهاز المركزي للمحاسبات، وذلك لدعم الاقتصاد، وتخطي الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها البلاد، ودعم العدالة الاجتماعية.

ثانياً - رؤية مصر

والتي انطلقت عام (٢٠١٦) لتنفيذ أحلام وتطلعات الشعب المصري في توفير حياة لائقة به، وتكون بمثابة خريطة للطريق لربط الحاضر بالمستقبل، وتستلهم إنجازات الحضارة المصرية الأصيلة؛ لتبني مسيرة تنموية واضحة لمستقبل طموح تسوده العدالة الاجتماعية والاقتصادية.

ثالثاً - كلنا واحد

والتي انطلقت عام (٢٠١٨) لتنفيذ الدور المجتمعي للجهات الأمنية في التخفيف عن كاهل المواطنين، وتحقيق التوازن بالسوق المحلي والأسواق، وتوفير السلع بأسعار مناسبة للمواطنين، ومواجهة استغلال التجار واحتكارهم للسوق السوداء، ولقد أكدت مؤخراً وزارة الداخلية على مد فعاليات المرحلة الثالثة والعشرين من المبادرة حتى نهاية نوفمبر المقبل لتوفير السلع الغذائية وغير الغذائية بأسعار مخفضة عن مثيلاتها بالسوق وفقاً لخريطة الفقر.

رابعاً - عينك علينا

والتي انطلقت عام (٢٠١٨) بإطلاق القوافل الطبية مع مؤسسة (صناع الخير) للتنمية، والتي تجوب النجوع والقرى لإجراء العمليات الجراحية، وتوزيع النظارات الطبية بالمجان.

خامساً - حياة كريمة

والتي انطلقت عام (٢٠١٩) لتحسين مستوى الحياة للفئات الأكثر احتياجاً، خاصة في القرى وتنميتها، وتتضمن تقديم فرص العمل بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة، وصرف الأجهزة التعويضية وفقاً لخريطة الفقر، كما تتكفل بحالات زواج اليتيمات.

سادسًا - أنت الأساس

والتي انطلقت لسيدات مصر عام (٢٠١٩) بمشاركة (١٠٣٠) طبية للكشف المبكر عن سرطان الثدي، والتي استفاد منها (١٨ مليون) سيدة.

سابعًا - الست المصرية في صحة مصر

والتي انطلقت عام (٢٠١٩) للكشف المبكر عن أورام سرطان الثدي والسكر والسمنة والضغط والقلب وهشاشة العظام.

ثامنًا - ١٠٠ مليون صحة

والتي انطلقت عام (٢٠١٩) من أجل علاج (٥٠ مليون) مواطن؛ للقضاء على فيروس سي.

تاسعًا - ما يغلاش عليك

والتي انطلقت عام (٢٠٢٠) من أجل توفير السلع بأسعار مخفضة للمواطنين، بمختلف فئاتهم وشرائحهم تحفيزاً للاستهلاك، وزيادة خطوط ومعدلات الإنتاج بالمصانع.

عاشرًا - حق الوطن

والتي انطلقت في ٢٨ أكتوبر (٢٠٢٢) في جميع مساجد مصر، ولمدة شهر واحد عن حق المواطن، وضرورة الحفاظ عليه، والعمل على كل ما يدعم تحقيق أمنه واستقراره.

التوصيات:

- توقيع اتفاقية لإتمام وإعداد وتدريب كتاب وأدباء الطفل مع الجهات المختصة المدنية والرسومية على دراسة الأساليب والواقع الجديد للجمهورية الجديدة.
- السعي لإقامة أول اتحاد مصري لكل فناني الطفل، مع الاستعانة بلائحة اتحاد الأدباء لحين تفصيل لائحة جديدة للاتحاد المصري لفناني الطفل.
- تخصيص مقر مؤقت للاتحاد الجديد.
- تعيين محام من ذوي الخبرة في إقامة نقابة مستقلة لفناني الطفل المصري.
- تعيين مجلس مؤقت للاتحاد من الحاضرين؛ لتنشيط وتجهيز ووضع لائحة للاتحاد، له سلطة إدارة مهام الاتحاد المنشود لمدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر.
- التخطيط لإطلاق أول قناة خاصة للطفل.